الهرمنوطيقا والديالكطيقا

مراجعة ناجي العونلي*

*"Üblicherweise erklärt man die Logik für die **Metaphysik** Hegels. Allein diese Erklärung führt nich weit, denn man hat ein Rätsel bloß durch ein anderes ersetzt."*

R. Bubner, Innovation des Idealsimus, 1995

ليس من نص نسقي نطلب عنده قوام النظر الهيغلي ولا من جهة نقصد فيها مناظرة - *die Auseinandersetzung* - المقام التأملي الذي استوضعه هيغل مقاما للتفكير بإطلاق كنص **علم المنطق** وكجهة اليوم الروحي المفرد التي حركت هذا النص إلى اثبات العنصر الذي هو أبدا للفلسفة. فكيف لنا بقراءة نص يكاد يستوفي سار الإمكان الهيغلي في الفلسفة ومن أين لنا بالنزول عند جهة من النظر *-der Standpunkt-* يتدبر الفكر بمعيتها صروف أيامه الميتافيزيقية عساه ينتهي عند تخليص الموضع الذي تؤول اليه الهيئة التأملية وهي له بالذات بها يتقوم وعنها يصدر. ذانك هما السؤالان اللذان يقف عندهما الكاتب وقوف من يستأنف النظر في ذات الشأن الهيغلي فيخرج به عمّا ألفناه من رجع التكرّة فإذا به شأن سؤال الفلسفة الأخص، أعنى سؤال الفلسفة عن أول إمكانها بما هي ميتافيزيقا. وليس يقف عند مثل هذين المطلوبين الا من خبر ان آن المطلوبين انما هو مجاوزة حاسمة لمجرد التعريف بالمقالة الهيغلية في المنطق وان الغرض منهما انما هو احتمال قصارى ما تقتضيه مناظرة لحظة التمام الفلسفي التي تندب إليها عين المقالة.

I-1 - إن فاتحة كتاب **هيغل ونهاية الميتافيزيقا*** كما خاتمته انما تقصدان الى وضع هرمنوطيقي بعينه لن ينفك الكاتب يسائله إيان تعقبه المطلوبين الذين ذكرنا. ولذلك فان الكاتب يبدأ من عند حال للقراءة برأسها هي في ذات الوقت حال المرء إذا ما همّ بنصوص الفلاسفة ينصت الى لغتها الصموت ويستبين معانيها المثوية[1]. أن «نتعلم كيف نقرأ لغة - *das Lesenlernen* - » الفلسفة بعامة وأن نتعلم كيف ننصت الى لغة هيغل بخاصة، ذاك هو ما لزم الكاتب من حال هرمنوطيقية (صص. 116.12) دفعت به إلى التلفت عن مجرّد الإخبار بلغة هيغل (هامش 77. ص. 26) على سبيل التعريف بكلماتها وإذاعة أجناس تصريفها خارج العنصر الهيغلي. إن الذي أقصد الكاتب الى مثل هذا التلفت انما هو بالدقة لازمة الوقوف على لغة هيغل في الفلسفة حتى يكون لنا أن نقرأ جوانيا حروفها ونصيب منها حيل انتظامها الذاتي ولذلك فان الكتاب يجعل من شأنه أن يبين أسباب الترقي الى مناظرة هذه اللغة التي تخير لها هيغل صفة المنطقي *-das Logische-*. وليس لنا هاهنا أن نسمع المناظرة على معنى الزعم في المشابهة أو الكفاية من الافادة بلغة هيغل. إن المناظرة التي ينبه الكاتب على سبيل الإيفاء بها انما هي قضاء لازم عن جنس التأول الذي تندب اليه فاتحة الكتاب وهو قضاءُ أن نلج المقام الخاص بلغة هيغل ونفسر خطته في تملك *-Aneignung die-* التاريخ الميتافيزيقي الخاص بالفكر (صص. 12-13، 116-117). وعليه فان مناظرة لغة

* كلية الآداب والعلوم الانسانية - صفاقس

● فتحي المسكيني. **هيغل ونهاية الميتافيزيقا**. دار الجنوب للنشر. تونس1997

1) قارن : فتحي المسكيني. **فلسفة النوابت**. دار الطليعة. بيروت. 1997. صص 8-10 وبخاصة سار الفصل الأول من القسم الأول : «التفكير مع هيغل ضدّ هيغل»

هيغل انما هي الفعل الهرمنوطيقي اللازم في قصارى ما تأتيه قراءة جوانية للمتن المنطقي عند هيغل وهي كذلك على معنيين من حيلة القراءة. فاما الأول فهو انها مناظرة تريد الارتفاع بسماع لغة هيغل الى حيث تحيّر هيغل نفسه في تدبير مقام مخصوص للميتافيزيقا تكون به وان بتمام لغة الفلسفة برأسها. وليس من فعل هرمنوطيقي كسماع لغة شأنه الاول ان يستنطق مساق تكونها والحاجة الدافعة الى اعتمادها في بيان الشأن الفلسفي (صص. 22-23، 58، 62، 9، 1، 25). وأما المعنى الثاني في مثل هذه المناظرة فهو أنها تطلب وجها أصيلا من معاصرة لغة هيغل ونعني ذلك الوجه الذي أقصد الكاتب الى ارتسام آية العصر الخاص بلغة هيغل كما إلى مكاشفة المعنى الجلل في إيالة هيغل لعبارة هذه الآية المفردة : من أين لنا بمعاصرة لغة هيغل وهي التي تخيرت للفلسفة آنا -*ein Jetzt*- ترتفع عنده راهنية الحديث وينتفي به حين العصر كما أينه. انما معاصرة لغة هيغل التي ينشدها صاحب الكتاب في ان نترقى -*sich erheben*- الى معنى من «زمان» التفكير كان هيغل قد خلصه بعد من تعين الحاضر وظل المنقضي، ان هي الا زمانية للفكر ولا زمان. وذلك فان من شأن المناظرة ان تبسط هذا الوجه من معاصرة آن فلسفي لا راهنية له الا على نحو ما تكون ماهية التفكير المتلفت الى عنصره ابدا آنا لا تطاله مقابلة زمان السلف بزمان الخلف (صص. 16-18، 12، 117، 118). وعليه فان مناظرة لغة هيغل (التي سارُ عبارتها في المنطقي) انما تعني عند واضع الكتاب التحديق المتأني بذلك الآن التأملي -*der spekulative Jetzt*- الذي أقر هيغل خروجه عن زمان الأنسقة الفلسفية فتملكه على جهة النهاية (صص.15-16) بما هي في ذات الوقت جهة استكمال ذات الشأن الفلسفي.

I -2 - وأما رأس المسألة في مثل هذه المناظرة المطلوبة ففي تعقب الفحص عن كتابة هيغل «للتاريخ السري» لهذا الآن الميتافيزيقي (هامش 48. ص19، صص، 25، 115) وعن النحو المخصوص الذي ينظم به هيغل عبارة تمام هذا الآن الميتافيزيقي على جهة انه المنطقي ذاته وقد ثبت بعد كقصارى ما يكون للتفلسف من صورة وغرض. ولذلك فان صاحب الكتاب يتخير لمبحثه لحظتين رئيسيتين تجهد الأولى منهما (الفصل الأول) في بيان لمساق ذات الأمر -*die Sache selbst*- بما هو سيرورة التعينات الانطية (مقالة الكينونة) والماهوية (مقالة الماهية) والمفهومية (مقالة المفهوم). واما اللحظة الثانية (الفصلان الثاني والثالث) فمقصودها ان تستنطق متن الملاحظات المساوق لعرض تلك التعينات المنطقية وان تستجلي خطة النقد الانطولوجي التي أقصدت هيغل الى أن يصوغها والعبارة النسقية للمنطقي.

وبين من هذا ان طريقة الكاتب تزاوج على سبيل التفطين نفسين من النظر المنطقي هما لعلم المنطق من ذاته ونعني النفس التأملي الذي يرأس عرض هيغل لمساق نمو المنطقي وتزيّده من التعيين الى أن يصير الفكرة المطلقة (هامش 113، ص.50) والنفس النقدي-الميتافيزيقي الذي يعتمده هيغل ايان سبره لما يسميه واضع الكتاب بـ «العمر الخاص لذات الامر» (هامش71، ص. 25 وبخاصة ص. 62). والكاتب في غضون ذلك انما يثبت اقتران هاذين النفسين وان نذر مبحثه لكفاية بيان خطة النظر التي تحكم مواضع النقد حيث ينتهي هيغل عن عرض مساق التعينات المنطقية ليجنح الى كتابة التاريخ الجذري الذي هو من أمر تلك التعينات. وعليه فان الكاتب يقف بخاصة عند ما تفتتحه مقالة هيغل في المنطق من

مقام نقدي أصيل شأنه ان يتم من الداخل المعنى الميتافيزيقي لامهات المقولات المنطقية حتى يؤول بها الى ما فيها مقولةً مقولةً من امكان تأملي متحقق. وأما بيان الكاتب لهذا الهم النقدي الذي هو من أمر المنطق الهيغلي فانما كان بحيلة الجمع بين أفقين من النظر الفلسفي افترض الكاتب انهما على تناظر شديد وان على وجه ما يندب اليه التفكير من مهمة (هامش28، ص.15) ونعني بهما أفق النظر الكانطي الذي كان قد ارتسم بعد قوام الهيئة الميتافيزيقية بما هو «انطو-ثيولوجيا» (هامش 53، ص.21، ص. 116، هامش9، ص.118، هامش22، ص.93) وسن له ضربا خطيرا من النقد كاد يحسر منه كلما إمكان تأملي. وأما الثاني فافق من النظر استوضعه هادغير فجنح عنده الى ضرب مخصوص من قراءة «التراث» الميتافيزيقي عسى أن يتملك من داخل العصر الذي له سار الامكانات التي انتهى عندها ذلك «التراث» (هامش19، ص.13، وبخاصة هامش7، ص.63 وص.117، والشاهد الثاني الذي صدر به الكاتب الفصل الثاني ص.59) والجامع بين هاذين الافقين من النظر انما هو في احتمالهما لقصارى ما يكون من معنى للازمة تجاوز الميتافيزيقا اما على جهة تشريح أغراضها ورسم جغرافية تصريفها واما على جهة فسر سؤالها الذي انصرفت عنه فظل ينخر قوامها ويتدبر لها تاريخية هي لها من ذات غايتها. والأظهر ان الكاتب انما أقصده الى هذا الجمع عين الوضع الهرمنوطيقي[2] الذي افترض انه يرأس وضع هيغل لـ **علم المنطق** ونعني ما نذر له هيغل من مهمة تنبيه الميتافيزيقا على تاريخيتها الجذرية وعليه استبدال انها المنتهي بآن المنطقي وهو على ما بينا من لازمنية متأكدة. ولذلك فان مقالة هيغل في المنطق انما هي على مطلق ما يذهب اليه الكاتب مقالة نقدية رأس القضية فيها مشكل اكتمال الميتافيزيقا بما هو مشكل تدبير نهايتها.

I - 3-1- لقد كان من شأن الكاتب في الفصلين الثاني والثالث ان يتقصى آيات الخطة المرسومة التي تحكم منظومة الملاحظات المساوقة لنص التعيينات المنطقية ويفسر الخيط الناظم الذي لها من ذات الخطة بما هي، على حد قراءة الكاتب، نقد أنطولوجي تاريخي (صص.62، 83 وبخاصة 64-65) للميتافيزيقا من بارمنيدس الى كانط وما كان له من صروف التلقي عند أوائل المثالية الألمانية. والشأن في عرض هذا النقد الأنطولوجي التاريخي للميتافيزيقا انما هو في كفاية بيان ما تشتغل به مقالات المنطق ثلاثتها (مقالة الكينونة ومقالة الماهية ومقالة المفهوم) من تاريخية جذرية لمقولات الفكر كما لأقوال الفلاسفة واطروحاتهم وهي تاريخية ينبه الكاتب على أنها لا تقال على معنى تعاقب هذه الأطروحات وتلاحقها وانما تقال على معنى مفرد من تناظر الأزمنة التي لها وتنافذ المقامات التي من عندها تظل معاصرة لامر الفكر ذاته (ص.65). ولذلك فان الكاتب بعد فراغه من تقديم الرسم العام الذي يرأس النقد الانطولوجي التاريخي للميتافيزيقا (ص.64) يهم بتفصيل النظر في ما تنتهي عنده مقالات الكينونة والماهية والمفهوم من وجوه استكمال الشأن الميتافيزيقي. فتعقب في مقالتي الكينونة والماهية ما لذي به النقد الانطولوجي التاريخي من مهمة حاسمة عبارتها ان ما يعتمله في هاتين المقالتين انما هو ضرب مخصوص من معاودة الأساس (الشاهد الأول الذي يتصدر ص.59 وبخاصة صص.85-86). وإنه علينا هاهنا ان

2) قارن : فاتحة نفس المرجع. انظر : فتحي المسكيني. مراجعة «هايدغر ومشكل الميتافيزيقا». **المجلة التونسية للدراسات الفلسفية**. عدد 17/18.1996/1997. صص179. وبخاصة 181.

نحتمل مع الكاتب غاية ما لهذه المعاودة -*die Wiederaufnahme*- من معنى فليست هي بمحض الردّة عما اعتبر فيه انه الاساس ولا بمجرد ترداد له (ص.17)، انما المعاودة آستيضاع -*eine Einräumung*- للمقام التليد الذي يرجع اليه قول الكينونة بما هو أسّ الأنطولوجيا وعليه فإن من شأن معاودة الأساس في المنطق الموضوعي (منطق الكينونة كما منطق الماهية) أمرين، أولهما تدبير ما لمقولة الكينونة من قصارى معنى منطقي - تأملي ذهب هيغل في بسطه الى استتمام المقالة البارمنيدية (صص.65، 66-68، هوامش 31-33، ص.67 وبخاصة هامش،37 ص.68) على جهة الخروج عما انتهى عنده كانط بعد من فرقان بين المفهوم والوجود وتأسيس الكينونة على نحو المعنى الماهوي الذي لها من ذاتها وليس من نظر الذات المتعالية (ص.83). وأما الأمر الثاني فبيان الامكان التأملي الذي لميتافيزيقا الجوهر من أرسطو الى سبينوزا بما هي على حد نقد هيغل في **منطق الماهية** ميتافيزيقا الذهن المتناهي (صص.75-76، 82-85)، وغاية هذا الامكان التأملي انما هي في الوقوف على لازمة مجاوزة مقالة الجوهر و«آستصلاحها» (هامش 108، ص.82) على نحو البنية التفكرية للماهية (هوامش98، 101،100، ص.81) وما يلزم عنها من استبدال أنطولوجيا الجوهر بأنطولوجيا الظاهرية. والكاتب في بسطه هاذين الطورين من النقد الأنطولوجي التاريخي انما يثبت كفاية ما يحققان طورا طورا من استكمال جذري للغرض الميتافيزيقي من داخل «تراثه الخاص» (ص.74) وينتهي في ذلك الى أن هذا الاستكمال انما هو وجه مفرد اعتمده هيغل في مكاشفة المنطق الخاص (ص.83) للمتن المقولاتي للميتافيزيقا الذي قصد الى تملكه و«السيطرة عليه» (صص.83، 62).

وأما ثالث أطوار ذلك الاستكمال للغرض الميتافيزيقي فان الكاتب قد أفرد في بيانه فصلا بذاته هو ثالث فصول الكتاب. وان في ذلك لآية على ما ندبت اليه **مقالة المفهوم** وهي على ما يثبت الكاتب (ص.89) مقالة قصد بها هيغل إصابة الكفاية في عرض الشأن التأملي كما في نقد ميتافيزيقا الكينونة والماهية. بل ان الكاتب يقف منذ فاتحة هذا الفصل الثالث (صص.89-90 وهوامش 1-3، ص.89) على ما يطلبه النقد الأنطلوجي التاريخي في مقالة المفهوم (بما هي مقالة **المنطق الذاتي**) من وجه مخصوص في نهاية الميتافيزيقا هو وجه اكتمال -*die Vollendung*- للعنصر الميتافيزيقي أكثر منه استكمالا -*die Vollkommenheit*- ورأس المعنى هاهنا أن المفهوم وحده تمام الآن الميتافيزيقي الذي يقول فيه الكاتب انه «الماضي المطلق لكل فلسفة» (ص.89) ليس من سبيل في إخراج نهايته سوى المماثلة بين المفهوم والذات. ولكن هذه المماثلة المفترضة في اكتمال الشأن الميتافيزيقي ينبه الكاتب على انها تقصد الى أقصى ما تصيبه لغة المنطقي عند هيغل من تدبير نقدي لدلالات نهاية الميتافيزيقا : إن هي الا نهاية تاريخ الذات (صص.93،101-107) على جهة استبيان ذلك المقام الخاص من الذاتية -*das eigene Selbst*- حيث يتنافذ جدل الموضوعية (صص.98-101 وبخاصة هامش47، ص.98) وجدل الفكر الذي له من ماهيته الحقّ (ص.107 وبخاصة هامش 113، ص.107) وعليه فان نهاية الذات من حيث هي الخروج بميتافيزيقا الذات عن لعبة «الانعكاس» (ص.110) والارتفاع بها الى حيث يكون التفكر -*die spekulative Reflexion*- (صص.110-111 وبخاصة هوامش98، ص81 و47 صص.98-89) من شأن الفكرة المطلقة، انما هي، على ما يذهب اليه الكاتب، «الخيار الأساسي»

(ص.109) للنقد الأنطولوجي التاريخي في منطق هيغل.

I – 3-2- إن الغاية في هذه الأطوار الثلاثة من النقد الأنطولوجي التاريخي للميتافيزيقا انما هي في استحالة الفلسفة تاريخا جوانيا (ص.62) لذات الأمر الذي تؤول اليه وليس الشأن في هذه الاستحالة أن يكون للفلسفة تاريخ بل في ان تكون الفلسفة بذاتها تاريخا للعنصر الذي لها منذ أول امرها وعبارة ذلك التاريخ عند هيغل انما هي في ذلك المساق النسقي لمقولات المنطق وهو المساق الذي طلب الكاتب بيانه في الفصل الاول على جهة تحايث البدء والكلي في تعين المنطقي «أنطيا» وماهويا ومفهوميا. ويقف الكاتب على ما يرأس كل فلك من ثلاثة أفلاك هذا التعين ويثبت ان ما يصل لحظات تعين المنطقي بما هي المقولات (سواء أكانت للكينونة أو للماهية أو للمفهوم) ليس من قبيل ما يشدّ أجزاء الكل بعضها الى بعض من صلات برانية ومجردة (ص.29) وانما هو من شأن حركة جوانية واحدة ترتفع عنها مقابلة الجزئي بالكلي كما الممايزة بين الشكل والمضمون (ص.30)، ان هي الا حركة تعين ذاتي -*eine Selbstbestimmung*- محايثة لمساق كل مقولة تدفع بها الى قصارى ما تحتمله من افتراض الكلي صورة مقدّرة لفحواها (ص.30).

فأما مسار التعين المنطقي الذي للكينونة فان الكاتب قد حفل ببيانه على معنى «اكتمال البدء» (صص.33، 57) وانه ليس من بدء مطلق لحركة تعين المنطقي سوى الكينونة الخالصة والتي في الحال وقد عادلت العدم الخالص فماهما بمتقابلين وانما هما محض ممارة -*das Übergehen*- يمضي الواحد منهما في الآخر. والكاتب يفسر ما في اعتمال هذا البدء المطلق من تصريف منطقي لعنصر الحالي أو المباشر -*das Unmittelbare*- (صص.33-34 وبخاصة هامش23، ص.33) ولعمري ان في ذلك لقوام مقالة الكينونة كلها! واللاّفت في عرض الكاتب لهذه المقالة عرضا مترسّلا هو ما قدره له من هوامش طلب عندها اخراج ما استقر اليه الاكتمال المنطقي للكينونة وما يرأس عين ذلك الاكتمال من «قرارات» النظر الهيغلي. ومن ذلك وقوف الكاتب على شأن الصيرورة بما هو شأن غيرية هو للكينونة من ذات قيمومتها المستحيلة (هامش23، ص. 33) ومثال ذلك أيضا سعيه الى استحضار المقام الذي للكينونة المشار اليها -*das Dasein*- واستنارته في ذلك السعي بعبارة «الانية» من حيث هي تقصد الى الاخبار بالكائن واثبات وثاقته من الكينونة المتعينة التي له (هامش 26، ص.34).

وأما مسار تعين الماهية فقد تعقب الكاتب عرضه على جهة ما اعتمل هيغل للماهية من معنى تأملي لا قبل لمن سبقه به، ألا وهو معنى تماضي أو مضي الكينونة الى ذاتها -*das Insichgehen des Seins*- (ص.37) ولذلك فان مقالة الماهية انما هي بيان لتعينات «القاع» الماهوي الدائم فعله في غضون الكينونة وقد آل أمرها المنطقي الى ظاهر (صص.38.57). وبيّن من عرض الكاتب لمنطق الماهية انه ذهب الى اثبات الفرق بين فلك التعين الذي للكينونة والفلك الذي للماهية فنبه كفاية التنبيه على ما يخص مسار الماهية من معنى «خطير» للتفكر (ص.38 وهوامش45 و46، صص.38-39) للماهية ان تتدبر على نحوه تعيناتها الماهوية (الهوهو والاختلاف والتناقض والأساس، صص.39-40) وان توثق وحدة الباطن والظاهر والشكل والمضمون (صص.40-42) وليس يتم ذلك للماهية ما لم تقلب انعكاسها على ذاتها -*die Reflexion des Wesens in ihm selbst*- لتصير معه مطلق تفكر

في ذاتها *-eine vollendete Reflexion in sich selbst-* **وهو التفكر الذي تعقبه الكاتب** (في الهامش الذي ذكرنا) على جهة الامكان اللاّديكارتي الذي تعنّى هيغل في البلوغ به حد الغاية (هامش68، ص.42) فاذا هو خروج بشأن التفكّر عن كل ما أقرته له فلسفات الوعي بالذات من مواضع. وانه لبهذا التفكر المطلق تتكشف الماهية لذاتها كفعل ظهور *-als ein Erscheinen-* (صص.40-41) ينسخ ما آلت اليه الكينونة من ظاهر *-der Schein-* فتتعين كينونة الماهية كـ *Existenz* يجتهد الكاتب في تقوّل المعنى المنطقي الذي تباين به معنى الكينونة *-das Sein-* بعامة فأثبته على انه الوجود (ص.41 وبخاصة هامش58 ، ص.41). وان منتهى عرض الكاتب لمنطق الماهية حين وقف على ما تصيبه الماهية وقد اتحدت والوجود من مقام فعلية هو شأن المطلق فيها الذي تترقى اليه الى أن تصير الجوهر (صص.42-43) واللافت ان الكاتب يكاد يستبق الموضع الذي أفرده لبيان النقد الأنطولوجي للماهية اذ هو يغلّب المعنى النقدي لمقالة هيغل في الجوهر على ما لها من شأن تأملي صرف فيصل عين المقالة بنقد هيغل لميتافيزيقا الذهن (ص.43) وان في ذلك لآية على موقع الفصل الأول للكتاب من الفصلين الأخيرين وعلى ما يصل عرض الكاتب لجدل الشأن التأملي في **علم المنطق** بتعقبه تعقبا نسقيا مواضع النقد الأنطولوجي وانا لواقفون في حينه على بعض ما لذلك من معان.

واما مسار تعين المفهوم فان الكاتب يبسط علينا ما يحكمه من نظر مزدوج جمع عبارته في مقالة «تساوق البدء والأبد» الذي هو لل «فكر الحر» (ص.44). والمفهوم هاهنا انما يطلب اولا كمآل لا بد منه لمسار تعين الكينونة والماهية وثانيا كفلك من التعين المنطقي خاصته انه موطن الفكر الذي أتم الوعي بالضرورة وعاد الى ذاته فبلغ منها مقاما للحرية هو به «رأس الأمر في الشأن التأملي» (صص.44-45). والكاتب ايان تعقب نماء المفهوم وتزيّده في حرية التعيّن من ذاتية (صص.45-48) إلى موضوعية (صص.48-50) إلى فكرة (صص.50-57) انما يقصد الى بيان عنصر الأبد الذي هو للمفهوم من ذات جدليته النشيطة (الوقوف على الفردي بما هو الكلي المتعين والمطلق، (ص.8 4)، الممايزة بين الذاتية الحرة والسالبة بذاتها لذاتها وبين الذاتية المتناهية الآحادية، ص.51، بيان فساد الفصل بين النظري والعملي ونسخه داخل مطلق من الحرية و«التحرير» صص.52-57...). وانه لبهذا الأبد الذي يسكن الفكر (ص.58) يستحضر المفهومُ في كلما لحظة وطور من نمائه الذاتي البدءَ (هامش78، ص.45، وبخاصة صص.57-58، الفقرة 3) ويطرحه *-setzen-* في قضاء مطلق الفكرة (هامش، 113 صص.50-51) الذي يسعى اليه وعليه فان الذي هم الكاتب من جدل المفهوم انما هو بالدقة معنى توسيط *-die Vermittlung-* الأبد لكل بدء توسيطا باطلاق اذ ليس من بدء لا يقارع وجه الأبد ولا يستحضر منه مطلق التفرّد اللهم الا بدء الانعكاس الذي للذهن وهو غير خليق بجدل المفهوم. وعناية الكاتب ببيان هذا الجدل الجواني للمفهوم على جهة تواشج البدء والأبد انما قصدت الى معنى نقدي برأسه به طلب الكاتب اعتمال هيغل المفهوم غرضا لمنطق ذاتيّ وهو ان جدل المفهوم انما هو في ذات الوقت «ترميم» لمقالة اليونان في to upokeimenon وتأصيل لما تردد فيه قيل الفلسفة الحديثة من معنى للذات (خاتمة الهامش89، ص.46، قارن : هامش106،ص.49)، وفي ذلك أيضا بعض اضافة يكون بها عرض جدل المفهوم تابعة لما يفترضه من نقد أنطولوجي تاريخي الأظهر ان الكاتب قد صرف الى

بيانه تمام عنايته.

II-1 - ولكن رأس الاشكال عندنا انما عبارته في السؤال التالي : هل تفي الهرمنوطيقا بحق الافصاح عما تندب اليه الديالكطيقا في منطق هيغل؟ ولنا ان نستعيد جوهر الاشكال لنسأل : ماذا تصيب العناية بحال مخصوص من القراءة (كل شأنها ان تقف على آيات نهاية الميتافيزيقا وضروب كتابة تاريخ تلك النهاية) من ذات الأمر الذي قدر له **علم المنطق** وهو على ما مر بنا أمر تدبير لازمات التأملي - das Spekulative- مقاما مستجدا للتفلسف لا فكاك للفلسفة منه؟ هل نازلة الفكر عندنا (وما أشد تنبيه الكاتب على قضاء الاحاطة بها!) في ان نطرح على أنفسنا قضية تقبّل هيغل على وجه مزامنة نقده للميتافيزيقا (أي استحضار نفس مناظرته لتاريخ الفكر) دونما ان ننتهي في ذلك الى التمكن مما يرأس عين ذلك النقد ونعني الصورة الجدلية التي هي للمنطقي من ذاته؟ أفلا يلزمنا في «تملك» الجدلي - das Dialektische- جنس من النظر نسقي ليس هو من قبيل ذلك التعنّي الهرمنوطيقي الذي لا يرتسم سوى التاريخية -die Geschichtlichkeit- أفقا للتحديق بمنطق هيغل؟

إن من شأن حروف الجدلي التي تتدبر لها خاتمة علم المنطق مقام «تكليمها» ان تنسخ - aufheben- في الفلسفة كلما وجه من وجوه ماقبلية النقد وان كان نقدا أنطولوجيا تاريخيا وان تزج به داخل ما يستوسله التأملي ذاته من مقامات في إيالة عنصره الخاص. وإنا إذا سمينا هذا المنطق الذي للتأملي ميتافيزيقا وان على نهاية فانا لا نصيب من ذلك سوى تردد التسمية فلنقرأ «المنطق على انه ميتافيزيقا هيغل كما ذاع ذلك بين الناس، فان هذا الايضاح وحده لا يفي بكفاية الأمر لانا قد استعضنا سرّا بسرّ»![3] ولعمري ان في ذلك استحجابا للمنطقي ولو طلب على وجهه النقدي.

إن جوهر الأمرعندنا انما هو في مكاشفة النحو «اللطيف» *-die überfeinerte Weise-* الذي تجمع به طريقة الفكرة المطلقة بين نصي **علم المنطق** ونعني النص الرئيس - der Hauptext- الذي يعرض لمسار تعيينات المنطقي وضميمة الاشارات -Untertexten die- التي تستوضع بعض تلك التعيينات داخل تاريخ نقدي. وليس يطلب ذلك النحو من الجمع الا على سبيل طرح مسألة الطريقة : الجدلي بما هو الصورة المطلقة للمنطقي اي من حيث هو المبدأ الجواني في انتظام مقولات المنطقي انتظاما ذاتيا لا سلطان للفيلسوف عليه. والاظهر ان الكاتب وقد لزم من لغة هيغل الموقف الهرمنوطيقي الذي بسطنا، قصد إلى اطراح مسألة الطريقة وانتهى عن النظر فيها : «ان المطلوب هو تحرير الهيغلية من وطأة الجدلية» (هامش77، ص،26) بل ذهب الى اعتبار مقالة هيغل في الطريقة «موقفا ميتافيزيقيا (...) استكمله هيغل» على جهة إقحامه في صلب «الأنطولوجية الحديثة بما هي في طور (...) أنطولوجية الموضوع» (هامش47، صص98.99). وبيّن من هذا ما تنتهي عنده

3) ذاك هو ما ينبه عليه شديد التنبيه الشاهد الذي صدّرنا به هذا المقال. وصاحب الشاهد. ر. بوبنر انما يستشكل في غضونه جنسا من التأول بذاته لمقالة هيغل في المنطق :

"Heidegger rückt die Geistlehre der hegelschen Logik in eine Reihe mit früheren Konzepten der Metaphysik, wobei er die gesamteuropäische Tendenz zur onto-theologischen Verkürzung der fundamentalen Seinsfrage zuspitzt. Indem er Hegel zu einem besonders verblendeten Metaphysiker unter anderen stilisiert, hat Heidegger es sich mit seinem wahren Antipoden leich gemacht. (...) *Jedenfalls ist Hegel innerhalb der Tradition derjenige Kanditat, der am empfindlichsten auf die historisch bedingte Rätselfähigkeit des metaphysischen Unternehmens reagierte.*", *Innovation des Idealismus*, ***Vandenboeck und Ruprecht***, Göttingen, 1995, p.56

عناية تأول هرمنوطيقي للغة هيغل : انها ترفع ما لهذه اللغة من صورة هي له من ذات قيمومتها كلغة في الفلسفي برأسه. ان الهرمنوطقيا، على ما تذهب اليه من كلف بمسألة التاريخية، تحجب المقام الأول الذي من عنده تسوس الفلسفة قيلها في التاريخية ونعني مقام الديالكطيقا.

وهذا المقام من حيث هو مقام الطريقة لازم فيه «الجمع في المعرفة بين نشاط الصور التي للفكر وبين النقد [الخليق] بها.»[4] وعليه فان الذي يقف دونه تعنّي الكاتب بالوصل بين النفس التأملي ونفس النقد الأنطولوجي التاريخي انما هو بالدقة مسألة بيان - *eine Darstellungsfrage*- ولسنا نطلب هاهنا الإيفاء بهذه المسألة على سبيل المعرفة الدقيقة بفلسفة هيغل او سبيل الإفادة بها على علاتها، وانما ننبه على لازمة الوقوف عليها لانها شرط الكفاية في فسر مطلوب الكاتب ذاته اي فسر ما اعتمده هيغل في **علم المنطق** من مهمة نقدية : ان من شأن الأمر ذاته -*die Sache selbst*- ان يكون بيان ذاته على جهة تنافذ ادراك ذات الأمر (طرح التعينات المنطقية لذاتها بذاتها) ونقد المواضع الميتافيزيقية التي تحول دون ذلك الإدراك، ويجب من ذلك **أن النقد** الذي يقصد اليه الكاتب **انما هو من شأن طريقة المنطقي التي ترأس بيانه بإطلاق اي من شأن الديالكطيقا برأسها**. فجوهر الطريقة - *die spekulative Methode*-عند هيغل ان تصل النقد بالبيان وتجعل منه بنية جوانية لعين البيان حتى يكون بيان المنطقي على العلمية الخليقة بالتأملي[5]. انما مقالة هيغل في المنطق مقالة بيان[6] تعطل كلما وجه من وجوه القيمومة الماقبلية للنقد ولو كان نقد الميتافيزيقا.

I I-2- ولنقف الآن على مطلوب هذا النقد فان ابانته مستصعبة قد تخرج عما ذكر لنا الكاتب من أمر نهاية الميتافيزيقا. ولعل وجه العسر في الظفر بمطلوب هذا النقد انما يرجع الى السؤال عن الوجه الذي يتدبر به البيان نقد الميتافيزيقا : هل مطلوب هذا النقد ان تُستكمل -*die Vollendung*- الميتافيزيقا على جهة بيان المنطقي ام هو ان يحفض عين هذا البيان الميتافيزيقا وينسخ -*die Aufhebung*- عنصرها؟ *Vollendung* أم *Aufhebung*،

4- "Es muß (...) die Thätigkeit der Denkformen und ihre Kritik im Erkennen vereinigt seyn"

وهذا شاهد من ضميمة لدرس لم ينشر بعد لهيغل في المنطق في صيف 1823 (وهو المعروف بـ «درس1823 في المنطق والميتافيزيقا»). ذكره :

M. Theunissen, ***Sein und Schein***. Die kritische Funktion der Hegelschen Logik,
Hegel, **Phänomenologie des Geistes**, Felix Meiner Verlag. : قارن Suhrkamp, F/M, 1980, p.15. Hamburg, 1988, p.5, 28-31 : "Das leichteste ist, was Gehalt und Gediegenheit hat, zu beurteilen, schwere, es zu fassen, das schwerste, was beides vereinight, seine Darstellung hervorbringen."

«انه لمن اليسير ان يقدّر المرء ما كان ذا جليل معنى وبالغ افادة وان يحكم عليه ولكن عسير عليه ان يدركه واما الأعسر من ذلك فان يجمع بين الحكم والادراك فيأتي بيانُه.»

5- انظر بخاصة : M. Theunissen, op. cit., pp. 14-19, 23-25, 61-91
قارن :

R. Bubner, *"Die 'Sache selbst' in Hegels System"*, *in* : ***Zur Sache der Dialektik***, Reklam Verlag, Stuttgart, 1980, pp. 60-61 et surtout §4 "Die Sache als Methode".
D. Henrich, *"Deduktion und Dialektik"*, in : ***Kant oder Hegel?*** *Über die Formen der Begründung in der Philosophie*, pub. par D. Henrich, Stuttgart, 1983, pp. 17-18.
M. Wetzel. *"Zum Verhältnis von Darstellung und Dialektik in Hegels Wissenschaft der Logik"*. in : ***Die Wissenschaft der Logik und die Logik der Reflexion***, pub. par D. Henrich, **Hegel-Studien**, Cahier 18. Bouvier Verlag, Bonn, 1978, pp. 143-169.

6- يقول هيغل في غضون وصفه للأفكار الخالصة من حيث هي غرض المنطق : «ان الحركة التي لهذه الافكار من ذاتها انما هي حياتها الروحية وهي ما يقوم به العلم من حيث هو بيان لها»
Wissenschaft der Logik, *Das Sein* (1812), Felix Meiner Verlag, Hamburg, 1986, p.7, 12-14.

قارن نفس المصدر، ص. 22، 12-16 : «وبيّن انه ما من بيان يكون ذا شأن علمي الا اذا ما اتبع مسار هذه الطريقة وزاوج النفس الذي لها ان هو الا مسار ذات الامر.»

ذاك هو رأس الأشكال فيما يأتيه بيان المنطقي لذاته من نقد للميتافيزيقا : هل يجري بيان التأملي مجرى استتمام به يستعاض ما تم أمره ام يجري مجرى استبدال به يستكمل ما استبدل بعد؟

ولعل استشكال امر النقد الذي لبيان المنطقي عند هيغل يبلغ بنا والكاتبَ أَبْعَدَ من ذلك إنْ نحن سألنا عن الغرض الخاص - *der besondere Inhalt*- الذي ل **علم المنطق** : ما الذي حرّك الهيغلية (منذ طور إيينا، 1805/1804 وهو الطور الذي استحالت عنده مقالة هيغل في الديالكطيقا فاذا بالجدلي مسألة النسق برأسه بعد ان كان في 1083/1802مجرد فاتحة تقدّم للنسق من حيث هي تطرح صور الفكر المتناهية) الى ان تجمع شديد الجمع بين المنطق والميتافيزيقا؟ ان مقالة تأريخ - *die Historisierung* - الميتافيزيقيا تجعل من غرض المنطق المنطق الذي للغرض! ولذلك فانها تحمل تدبير نهاية الميتافيزيقا على بيان المنطقي بيانا علميا وان قام ذلك التدبير عن هذا البيان. وعليه فان مسألة تملك الميتافيزيقا ليست من شأن النقد بل هي شأن البيان وآية ذلك ما أفرده هيغل للطريقة في خاتمة **علم المنطق**[7] من مقام جليل لها به عل أيما غرض سلطان وسطوة -*der Methode*- *die Herrschaft*- فليس التملّك من بعد ذلك بكتابة التاريخ السري و «المأمول» للميتافيزيقا وانما التملك ان تستوفي الطريقة، بما هي صورة الفكرة المطلقة، الميتافيزيقا - *die Methodosierung der Metaphysik* - ولعل ذلك ما أقصد الباحث الجليل ر. بوبنر الى تعقب معنى الجمع بين البيان والنقد في نسق المنطق وفسره عل انه «سريان» الطريقة باطلاق -«*als ein Panmethodismus*»-

بيّن من هذا ان الاحاطة بما يندب اليه **علم المنطق** من نقد للميتافيزيقا انما يلزم فيها الوقوف على جنس الطريقة الذي يستوسله التأملي في اثبات عنصره وليس يجب من الاشارات التي سقنا الا العرفان لواضع **هيغل ونهاية الميتافيزيقا** بما أشركنا فيه من جليل النزول عند الشأن الهيغلي والشكور لما أفادنا اياه من «فضيلة الابتداء» فان من شأن التفكير بعد هيغل ان يكون عرفانا وشكورا.

7- «وعليه فان الطريقة انما هي الروح والجوهر وما من شيء يدرك ويعرف على وجه الحق الذي له ما لم ترأسه الطريقة...»
Wissenschaft der Logik, *Die Lehre vom Begriff*, Felix Meiner Verlag, Hamburg, 1994, p.286, 21-24.